

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ٤١ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤٢﴾ فَوَإِيْهِ
وَهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٤٣﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٥﴾
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٦﴾ بَيَّضَاءَ لَّدُنْكَ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٧﴾
لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٨﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
عَيْنٌ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيَّضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٥٠﴾

[الصافات: 40 - 49]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

عندما ذكر الله تعالى حال الكفار في العذاب، وخصومتهم فيه واستحقاقهم ذلك جزاء لأعمالهم؛ عقبه ببيان حال من هم ضد أولئك، وذلك ببيان ثوابهم في جنات النعيم^(١)، كعادة القرآن في المقارنة بين مصير الأشرار ومصير الأخيار^(٢).

قرن ذكر نعيم
الأخيار بذكر
عذاب الأشرار

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿الْمُخْلَصِينَ﴾: (خلص) أصلٌ مُطَرَّدٌ يدلُّ على التَّنْقِيَةِ والتَّهْذِيبِ، خَلَصَ الشَّيْءُ نَفَذَ نَقِيًّا مِنْ أَشَاءٍ مَا كَانَ يُخَالِطُهُ، أَوْ يَشْوِبُهُ⁽³⁾، ويقال: خَلَصْتُهُ، أي: نَحَيْتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَنْشَبُ تَخْلِيسًا⁽⁴⁾، والخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾ [الأنعام: 139]، أي: لهم خاصة دون الإناث، وتخلّصت من الشَّيْءِ تَخْلُصًا: إِذَا سَلِمَتْ مِنْهُ، ومنه قوله سبحانه: ﴿خَلِّصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]⁽⁵⁾، والإخلاص: التَّبرِّيُّ عَنْ كُلِّ مَا دُونَ اللَّهِ تَعَالَى⁽⁶⁾، والمُخْلِصُونَ اسمٌ فاعل: وَهُمْ الَّذِينَ كَانَتْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 110.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26 / 332، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12 / 82.

(3) ابن فارس، معياريس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خلص).

(4) الخليل، العين: (خلص).

(5) ابن دريد، جمهرة اللغة: (خلص).

(6) الراغب، المفردات: (خلص).

حياتهم لله، والمُخَلَّصُونَ اسمُ مفعولٍ، وهُمُ الْمُخْتَارُونَ⁽¹⁾، ومعنى «الْمُخَلَّصِينَ» في الآية: الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَوْلَايَتِهِ، ونَجَّاهُمْ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ⁽²⁾.

(2) «رِزْقٌ»: (رزق) أصلٌ يدلُّ على ما بهِ قَوَامُ الْجِسْمِ وَنَمَاؤُهُ، مِنَ الْغِذَاءِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: «وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا» [آل عمران: 37]⁽³⁾، وَالرِّزْقُ مَا يُطْعَمُ بِهِ، وَيُتَفَعَّلُ⁽⁴⁾، وَأُطْلِقَ عَلَى الْعَطَاءِ⁽⁵⁾، يَقُولُ تَعَالَى: «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» [البقرة: 3]⁽⁶⁾، أي: من المال والجاه والعلم⁽⁶⁾، ومعنى «رِزْقٌ» في الآية: الطَّعَامُ الَّذِي يَنَالُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ⁽⁷⁾.

(3) «مَعْلُومٌ»: (علم) يدلُّ على أثرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، وَبِهِ تَتَمُّ الدَّلَالَةُ وَالْاهْتِدَاءُ⁽⁸⁾، وَمِنْهُ الْعَلَامَةُ، أَيِ: السَّمَةِ، وَالْعَلَمُ هُوَ الْجَبَلُ الطَّوِيلُ، وَالْجَمْعُ الْأَعْلَامُ، وَالْإِخْبَارُ بِالْعَلَامَةِ هُوَ الْإِعْلَامُ، وَمِنْهُ جَاءَ مَعْنَى الْعِلْمِ، يُقَالُ: تَعَلَّمْتُ الشَّيْءَ؛ إِذَا أَخَذْتَ عِلْمَهُ، وَالْعِلْمُ بِمَعْنَى إِدْرَاكِ عِلَامَاتِ الْأَشْيَاءِ، وَهُوَ تَقْيِضُ الْجَهْلِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الشُّعُورِ أَيْضًا، يَقَالُ: مَا عَلِمْتُ بِخَبْرِكَ، أَيِ: مَا شَعَرْتُ بِهِ⁽⁹⁾، وَالْمَعْلُومُ: هُوَ مَا أَدْرَكَهُ عِلْمُكَ، وَالْمَعْلُومُ أَيْضًا: مَا كَانَتْ لَهُ عِلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى جُودَتِهِ غَالِبًا⁽¹⁰⁾، ومعنى «مَعْلُومٌ» في الآية: أَنَّهُ رِزْقٌ مَرغُوبٌ فِيهِ مَضْمُونٌ مُحَدَّدٌ⁽¹¹⁾.

(4) «فَوَاكِهٌ»: أصلُهَا مِنَ (فكه)، هِيَ جَمْعُ (فَاكِهَةٍ)، وَهُوَ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى طَيِّبٍ وَاسْتِطَابَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْفَكِيهُ: الطَّيِّبُ النَّفْسِ، وَمِنْهُ: الْفَاكِهَةُ؛ لِأَنَّهَا تُسْتَطَابُ، وَتُسْتَطَرَفُ، وَالْمُفَاكِهَةُ هِيَ الْمُزَاحَةُ، وَمَا يُسْتَحْلَى مِنْ كَلَامٍ، وَسُمِّيَتْ الْحُلُوءُ فَاكِهَةً لَخَفَّتِهَا عَلَى النَّفْسِ⁽¹²⁾، وَالْفَاكِهَةُ هِيَ الثَّمَارُ كُلُّهَا، وَهِيَ مَا يُتَنَعَّمُ بِهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:

(1) الخليل، العين: (خلص).

(2) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 229، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 111/ 23.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).

(4) الزبيدي، تاج العروس: (رزق).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلص).

(6) الراغب، المفردات: (خلص).

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 111/ 23.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، للعجم الاشتقاقي المؤصل: (علم).

(9) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (علم).

(10) ابن دريد، جمهرة اللغة: (علم).

(11) ابن عطية، التحرير والتنوير: 111/ 23.

(12) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، للعجم الاشتقاقي المؤصل: (فكه).

﴿فَكَيِّهِينَ بِمَا عَمَلْتَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الطور: 18]، ومنه أُطلقَ التَّفَكُّهُ على الفَرَحِ⁽¹⁾، ومعنى ﴿فَوَاكِهَ﴾ في الآية: طَيِّبُ الثَّمَارِ.

(5) ﴿مُكْرَمُونَ﴾: (كرم) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الشَّرَفِ والتَّنَزُّهِ، والكَرَمُ: شَرَفُ الرَّجُلِ، وتَكَرَّمَ عن الشَّائِنَاتِ، أي: تَنَزَّهَ، وأَكْرَمَ نَفْسَهُ عنها، ورفعَهَا، وضدُّهُ اللَّؤْمُ⁽²⁾، ومنَ الكرمِ الجودُ؛ لدلالتهِ على الكثرةِ، والعربُ تقولُ: هذه البلدةُ إنَّما هي كَرَمَةٌ ونَخْلَةٌ، يعني بذلك الكثرةَ، وكَرَّمَ السَّحَابُ: أَتَى بِالغَيْثِ، وأَرْضٌ مَكْرَمَةٌ لِلنَّبَاتِ؛ إذا كانت جيِّدةَ النَّبَاتِ⁽³⁾، والإِكْرَامُ والتَّكْرِيمُ: أَنْ يُوَصَّلَ إِلَى الْإِنْسَانِ إِكْرَامٌ، أي: نَفْعٌ لَا يَلْحَقُهُ فِيهِ غَضَاظَةٌ، ومعنى: ﴿مُكْرَمُونَ﴾ في الآية: مُشَرَّفُونَ بِأَشْرَفِ تَعَامُلٍ⁽⁴⁾.

(6) ﴿سُرُرٍ﴾: مِنَ الْجَذْرِ (سَرَر)، وَلَفْظُ (سُرُر) جَمْعُ (سَرِير)، ويدلُّ على الخَفِيِّ والخَالِصِ والمُسْتَقَرِّ، فَالسُّرُّ خَالِصُ الشَّيْءِ، وَسُرُّ كُلِّ شَيْءٍ جَوْفُهُ، وَالسُّرُورُ هُوَ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ، وَالْخُلُوصُ مِنَ الْحُزَنِ، وَالسَّرَاءُ ضِدُّ الضَّرَاءِ: النِّعْمَةُ؛ لِأَنَّ بِهَا السُّرُورَ⁽⁵⁾، وَمِنْ مَعْنَى الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِطْمِنَانِ والدَّعَةِ جَاءَ لَفْظُ (السَّرِير)، وَهُوَ الَّذِي يُجْلِسُ عَلَيْهِ مِنَ السُّرُورِ؛ إِذْ كَانَ ذَلِكَ لِأُولَى النِّعْمَةِ⁽⁶⁾، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِالسُّرُرِ فِي الْآيَةِ.

(7) ﴿يُطَافُ﴾: (طوف) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على دَوْرَانِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَأَنْ يُحَفَّ بِهِ⁽⁷⁾ إِلَى دَرَجَةِ الْغَشْيَانِ كَالطَّوْفَانِ يَعْْمُ حُدُودَهُ⁽⁸⁾، وَالطَّوَافُ: الْمَشْيُ حَوْلَ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ: الطَّائِفُ مَنْ يَدُورُ حَوْلَ الْبُيُوتِ حَافِظًا، وَمِنْهُ الْخَادِمُ، وَالطَّوَّافُونَ الْخَدَمُ⁽⁹⁾، وَمَعْنَى ﴿يُطَافُ﴾ فِي الْآيَةِ: يَدُورُ حَوْلَهُمْ، وَيَغْشَاهُمْ خِدْمَةً لَهُمْ.

(8) ﴿يَكْأَسُ﴾: هُوَ الْإِنَاءُ الَّذِي يُشْرَبُ فِيهِ مَا دَامَ الشَّرَابُ فِيهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْإِنَاءِ

(1) الخليل، العين: (فكه).

(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة: (كرم).

(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (كرم).

(4) البقاعي، نظم الدرر: 229 / 16.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سر).

(6) الخليل، العين، والراغب، المفردات: (سر).

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طوف).

(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (طوف).

(9) ابن دريد، جمهرة اللغة: (طوف).

مُمْتَلِئًا، يقال: شَرِبْتُ كَأْسًا، وكَأْسٌ طَيِّبَةٌ، يعني بها: الشَّرَابَ، يقولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ (١٨) [الواقعة: 18] (1)، وَخَصَّتِ الْخَمْرُ بِالْكَأْسِ حَتَّى شَاعَ إِطْلَاقُ الْكَأْسِ عَلَيْهَا، وَلَعَلَّ أَقْرَبَ أَصْلٍ لُّغَوِيٌّ إِلَيْهَا هُوَ (كَاسٌ) مِنَ الْكَيْسِ، وَهُوَ مَا فِيهِ غَوْرٌ شَدِيدٌ مَعَ شِدَّةِ التَّمَسُّكِ (2)، وَمَعْنَى: ﴿بِكَأْسٍ﴾: الشَّرَابُ الطَّيِّبُ، وَهُوَ خَمْرُ الْجَنَّةِ.

9 ﴿مَّعِينٍ﴾: يُمْكِنُ رَدُّ لَفْظِ ﴿مَّعِينٍ﴾ إِلَى أَصْلَيْنِ: الْأَوَّلُ هُوَ (مَعَنَ)، وَيَدُلُّ عَلَى سُهولةٍ فِي جَرَيَانِ وَتَبَاعُدٍ (3)، وَمَعَنَ الْمَاءُ: جَرَى، وَمَاءٌ مَّعِينٌ، وَأَمَعَنَ الْفَرَسُ تَبَاعَدَ فِي عَدْوِهِ، وَأَمَعَنُوا فِي بَلَدِ الْعَدُوِّ: تَبَاعَدُوا (4)، وَرَجُلٌ مَّعْنٌ فِي حَاجَتِهِ: سَهْلٌ، وَالْأَصْلُ الثَّانِي: هُوَ (عَيْنٌ) مِنَ الْعَيْنِ، وَهِيَ: الْجَارِحَةُ، وَمِنْهُ عَيْنُ الْمَاءِ النَّابِغَةُ لِمَائِهَا وَصَفَائِهَا، أَوْ ظُهُورُهَا لِلْعَيْنِ، وَأَمَعَنْتِ الْأَرْضُ: رَوَيْتِ، وَكَلًّا مَّعْمُونٌ: جَرَى فِيهِ الْمَاءُ، وَمَعَنَ الْوَادِي: إِذَا كَثُرَ فِيهِ الْمَاءُ الْمَعِينُ (5)، وَمَعْنَى ﴿مَّعِينٍ﴾ فِي الْآيَةِ: جَارٍ وَصَافٍ كَمَا فِي النَّبْعِ.

10 ﴿بَيِّضَاءَ﴾: مُؤَنَّثٌ أَبْيَضٌ، مِنْ (بَيِضٌ)، وَأَصْلُهُ الْبَيَاضُ مِنَ الْأَلْوَانِ، وَاشْتُقَّ مِنْهُ بَيِّضَةُ الدَّجَاجِ، وَلِدَلَالَةِ الْأَبْيَضِ عَلَى النِّقَاءِ قَالَتِ الْعَرَبُ: فَلَانٌ أَبْيَضٌ، وَفَلَانَةٌ بَيِّضَاءٌ لِنِقَاءِ الْعَرِضِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْعُيُوبِ، وَلَا يَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى بَيَاضِ اللَّوْنِ، وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ الْمَدْحَ بِالْكَرَمِ وَنِقَاءِ الْعَرِضِ مِنَ الْعُيُوبِ وَالْأَدْنَسِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: 106]؛ تَعْبِيرًا عَنِ الْمَسْرَةِ وَالنَّصَارَةِ وَالْبِشْرِ (6)، وَمَعْنَى: ﴿بَيِّضَاءَ﴾ فِي الْآيَةِ: مُشْرِقَةُ اللَّوْنِ صَافِيَةٌ (7).

11 ﴿لَذَّةٍ﴾: (لِذْذٍ) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى طَيِّبِ طَعْمٍ فِي الشَّيْءِ (8)، وَيُعْمُ كُلُّ اسْتِطَابَةٍ وَقَعَ شَيْءٌ عَلَى الْحَسِّ لِمُنَاسَبَتِهِ إِيَّاهُ مَعَ لُطْفِهِ وَخَفَّتِهِ، كَالشَّرَابِ لِلطُّفَةِ وَنُعُومَتِهِ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمَرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: 15]، وَكَمَسَ الشَّيْءُ الْأَمْسَ، وَكَاسْتَمَاعَ الْكَلَامِ الْمُحَبَّبِ، وَكَطِيبَ النَّوْمِ، وَضَدَّ الْأَلَمِ (9)، وَمَعْنَى ﴿لَذَّةٍ﴾ فِي الْآيَةِ: طَيِّبَةُ الْمَذَاقِ.

(1) الزبيدي، تاج العروس، والراغب، المفردات: (كأس).

(2) ابن سيده، المحكم، وجبل، للعجم الاشتقاقي للؤصل: (كاس).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، للعجم الاشتقاقي للؤصل: (معن).

(4) الراغب، المفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقي للؤصل: (معن).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (عين).

(6) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (بيض).

(7) البقاعي، نظم الدرر: 230 / 16.

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (لذذ).

(9) جبل، للعجم الاشتقاقي للؤصل، والزبيدي، تاج العروس: (لذذ).

12 ﴿لِّلشَّرِبِينَ﴾: (شرب) يدلُّ على تناول كلِّ مائع، ماءً كان أو غيره، وهو "سَحَبُ الماءِ أو اللَّطِيفِ إلى الجَوْفِ، أي: مَصُّهُ وإِنْفَاذُهُ إلى الأَثْنَاءِ بِقُوَّةٍ"⁽¹⁾، يقال: شَرَبْتُ الماءَ أَشْرَبُهُ شَرَبًا، وهو المصدرُ، والشُّرْبُ الاسمُ، والشُّرب: القومُ الذين يَشْرَبُونَ، والشُّرب: الحظُّ من الماءِ⁽²⁾، يقول تعالى: ﴿وَسَقَلْنَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۖ﴾ [الإنسان: 21]، ومعنى ﴿لِّلشَّرِبِينَ﴾: لِمَنْ يتناول تلك الكأس، ويستطيبها.

13 ﴿غَوْلٌ﴾: (غول) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على خَتَلٍ وأَخَذٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، يقال: غَالَهُ يَغُولُهُ: أَخَذَهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَدْرِ، والغَوْلُ: إِهْلَاكُ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْسُبُ بِهِ⁽³⁾، ويقال: غَالَتْهُ الخَمَرُ تَغُولُهُ غَوْلًا؛ إِذَا شَرَبَهَا، فَذَهَبَتْ بِعَقْلِهِ، ويُطْلَقُ الغَوْلُ على الصُّدَاعِ⁽⁴⁾، ومعنى: ﴿غَوْلٌ﴾ في الآية: إِيْذَاءُ العَقْلِ وإِضْرَارُهُ⁽⁵⁾.

14 ﴿يُنْزَفُونَ﴾: (نزف) أصلٌ يدلُّ على نَفَادِ شَيْءٍ بِتَدْرُجٍ إلى انْقِطَاعِهِ، مِنْ: نَزَفَ الماءُ مِنَ البَيْتِ: نَزَحَهُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ⁽⁶⁾، وَنَزَفَهُ الحِجَامُ: أَخْرَجَ دَمَهُ كُلَّهُ⁽⁷⁾، وَنَزَفَ دَمُهُ: خَرَجَ كُلُّهُ، وَنَزَفَ السُّكْرَانُ، أَي: نَزَفَ عَقْلُهُ⁽⁸⁾، ومعنى: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ في الآية: لَا يَذْهَبُ العَقْلُ بِالسُّكْرِ.

15 ﴿قَصِرَتْ﴾: (قصر) أصلٌ يدلُّ على الحَبْسِ عَنِ الغَايَةِ والنَّقْصِ، فَالْقَصْرُ نَقْصٌ: خِلَافُ الطَّوْلِ، ويقال: قَصُرَتِ الثُّوبَ والحَبْلُ تَقْصِيرًا، وَمِنْهُ الحَبْسُ دُونَ الوُصُولِ إلى الغَايَةِ⁽⁹⁾، والقَصْرُ: كَفُّكَ نَفْسَكَ عَنْ شَيْءٍ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ القَصْرُ غَايَةً، يُقَالُ: قُصِرَاهُ كَذَا، أَي: حُدُّهُ⁽¹⁰⁾. والقُصُورُ: العَجْزُ والتَّوَانِي، وأَقْصَرْتُ عَنْهُ؛ إِذَا نَزَعْتَ عَنْهُ، وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَقَصَرَهُ؛ إِذَا حَبَسَهُ، ومعنى ﴿قَصِرَتْ الظَّرْفُ﴾ في الآية: أَنَّ حَوْرَ الجِنَانِ يَكْفُفَنَّ أَبْصَارَهُنَّ، وَيَحْبِسَتْهَا عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ.

(1) الراغب، المفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقي للؤصل: (شرب).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شرب).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (غول).

(4) الخليل، العين: (غول).

(5) ابن عطية، البحر الوجيه: 4/ 472.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (نزف).

(7) جبل، للعجم الاشتقاقي للؤصل: (نزف).

(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نزف).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قصر).

(10) الخليل، العين: (قصر).

16 ﴿الطَّرْفُ﴾: (طرف) أصلٌ يدلُّ على حدِّ الشيء وحَرْفِهِ، ويُستعملُ في الأجسامِ والأوقاتِ وغيرها⁽¹⁾، يقالُ: أشارتْ بطَرْفٍ إصْبَعِهَا، وطَرْفُ كلِّ شيءٍ مُنتَهَاهُ⁽²⁾، يقولُ تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ [هود: 114]، وطَرْفُ العَيْنِ: جَفْنُهُ⁽³⁾، والطَّرْفُ مفردًا مُعَرَّفًا "اسمُ جامعٍ للبَصَرِ، لا يُثَنَّى، ولا يُجْمَعُ"⁽⁴⁾، واشْتَقَّ مِنَ الطَّرْفِ فِعْلُهُ، فالطَّرْفُ: إطباقُ الجَفَنِ على الجَفَنِ، يقال: شَخَصَ بَصْرَهُ، فَمَا يَطْرِفُ⁽⁵⁾، ومعنى ﴿الطَّرْفُ﴾ في الآية: أَجْفَانُ نِسَاءِ الْجَنَّةِ، يَقْصُرْنَهَا عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ⁽⁶⁾.

17 ﴿عَيْنٌ﴾: (عين) أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على عُضْوٍ به يُبْصَرُ، وَيَنْظَرُ⁽⁷⁾، والعَيْنُ هي الجارحةُ، يقولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [التوبة: 92]، ومنها اشْتَقَّتْ معاني العَيْنِ، فالعَيْنُ للماءِ لَشَبْهِهِ بِالْجَارِحَةِ صَفَاءً، وَلِلذَّهَبِ؛ لَأَنَّهُ أَصْلُ الْمَالِ وَأَفْضَلُهُ، وَعَيْنُ الشَّيْءِ ذَاتُهُ؛ لَأَنَّهُ يَرَى بِالْعَيْنِ، وَيُعَايِنُ، وَأَعْيَانُ الْقَوْمِ أَفْضَلُهُمْ، وَمِنَ الْعَيْنِ الْعَيْنُ، وَهُوَ حُسْنُ الْعَيْنِ، أَوْ سَعَتُهَا وَعِظَمُ سَوَادِهَا⁽⁸⁾، أَوْ نَفَاذُ بَصَرِهَا⁽⁹⁾، يقالُ: أَعْيَنَ وَعَيْنَاءَ، وَالْجَمْعُ عَيْنٌ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ بِلَفْظِ ﴿عَيْنٌ﴾ في الآية، أَي: حُسْنُ أَعْيُنِهِنَّ وَنَفَاذُ بَصَرِهَا.

18 ﴿بَيْضٌ﴾: جمعٌ مفردُهُ الْبَيْضَةُ، وهي ما يَضَعُهُ الطَّائِرُ⁽¹⁰⁾، وأُخِذَ مِنْ لَوْنِ الْبَيَاضِ؛ دَلَالَةً عَلَى النِّقَاءِ، تقولُ الْعَرَبُ: فُلَانٌ أَبْيَضُ، وَفُلَانَةٌ بَيِضَاءُ؛ لِنِقَاءِ الْعِرْضِ مِنَ الدَّنَسِ وَالْعُيُوبِ، وَيُكْنَى بِالْبَيْضَةِ عَنِ الصِّيَانَةِ وَالرَّقَّةِ⁽¹¹⁾ وصفاءِ اللَّوْنِ وَجَمَالِهِ⁽¹²⁾، وَلَفْظُ ﴿بَيْضٌ﴾ في الآية: هُوَ الْبَيْضُ الْمَعْرُوفُ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (طرف).

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (طرف).

(3) الراغب، المفردات: (طرف).

(4) الخليل، العين: (طرف).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (طرف).

(6) السمين، الدر للصون: 306/9.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عين).

(8) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عين).

(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عين).

(10) ابن فارس، مقاييس اللغة، والفيومي، المصباح النير: (بيض).

(11) الأزهري، تهذيب اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بيض).

(12) الراغب، المفردات: (بيض).

(19) ﴿مَكْنُونٌ﴾: جاءَ لفظُ ﴿مَكْنُونٌ﴾ من أصلٍ (كَنَّ)، ويدلُّ على سَتْرٍ وَصَوْنٍ⁽¹⁾، وكلُّ شيءٍ وقى شيئاً؛ فهو كُنْهٌ وَكِنَانُهُ، وَكَنَنْتُهُ أَكْنُهُ كَنًّا: جعلتهُ في كِنٍّ، واكْتَنَتِ المرأةُ: سَتَرَتْ وَجْهَهَا حياءً من النَّاسِ، والإكْنَانُ: ما أضمَرْتَ في ضميرك، يقولُ ﷺ: ﴿أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: 235]، والإكْنَانُ: إخفاءُ الشيءِ بالشيءِ⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ [الواقعة: 78]، أي: مَصُونٍ⁽³⁾، ومعنى ﴿مَكْنُونٌ﴾ في الآية: المستورُ المَصُونُ.

❁ المعنى الإجمالي:

خاطَبَ اللهُ تعالى المُجْرِمِينَ بأنَّهم ذائقو العذابِ الأليمِ، لكنَّ عبادَ الله ليسوا كذلك، أولئك الَّذِينَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ بالطَّاعةِ، فأَخْلَصَهُم اللهُ لعبادتهِ، فَلَهُمْ رِزْقٌ مُتَمَيِّزٌ مرغوبٌ، مُحَدَّدٌ في وقتهِ، طَيِّبُ الطَّعْمِ، حَسَنُ الْمَنْظَرِ، دائمٌ غيرُ مقطوعٍ ولا ممنوعٍ، يَتَفَكَّهُونَ ممَّا لَدَّ، وطابَ، وَهُمْ مُنْعَمُونَ، فلا يرغبونَ في شيءٍ إلاَّ وجدوه في جنَّاتٍ ليس فيها إلاَّ النَّعِيمُ، يتقابلونَ جلوسًا على سُرُرٍ الرَّاحَةِ مُتَصَافِينَ، لهم خَدَمٌ يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ بإناءٍ شرابٍ كثيرٍ جارٍ طَيِّبٍ صافٍ، يجدُ فيه الشَّارِبُونَ كُلَّ اللَّذَّةِ، لا يحْمِلُ أَذًى، ولا تُذهِبُ عَقْلاً، ولا تنقطعُ، وعندهم الحَيَّاتُ الْمُحِبَّاتُ جَمِيلَاتُ الْعُيُونِ، أزواجٌ من الصِّفَاءِ والسُّتْرِ والصَّوْنِ كَالْبَيْضِ يُخْفِيهِ الرِّيشُ في العُشِّ، فلم تَمْسُهِ يَدٌ، ولم تَعْلَهُ غَبْرَةٌ.

هذا ما بَشَّرَ اللهُ عبادهُ الْمُخْلِصِينَ، إِنَّهُ عطاءٌ مُتَنَوِّعٌ جَزِيلٌ تشرحُ له الصُّدُورُ، وتقرُّ به العُيُونُ، وتَبْتَهِجُ له النُّفُوسُ، وهم على مقاعدِ الرَّاحَةِ مُتَقَابِلِينَ يَشْرَبُونَ، وَيَتَحَادَثُونَ⁽⁴⁾.

بيانُ حالِ أهلِ
الجنةِ وما هم
عليه من النِّعيمِ
المقيمِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كن).

(2) الخليل، العين: (كنن).

(3) جبل، المعجم الاشتقاقي للواصل: (كنن).

(4) ابن جرير، جامع البيان: 35/21، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 110/23، وطنطاوي، التفسير

الوسيط: 82/12 - 85.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

توجيه تكرار الاستثناء:

استثناء الضد
من ضده
استدراك
تعقيبي

تكرّر الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ بعد ذكره في الآية السابقة: ﴿وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وليس الثاني استثناءً في الجزاء، لكنّه استثناءً حالٍ من حال، أي: استدراك؛ لأنّه استثناءً مُنْقَطِعٌ، فحالُ الثّواني ليس كحالِ الأوّل، بمعنى: لكنّ المخلصين لهم رزقٌ معلومٌ، فإنّ حالَ عبادِ الله تامّ الضديّة لحالِ الظّالمين، فهو استدراكٌ تعقيبيٌّ للكلام بما يُضادّه⁽¹⁾، والغرض من الاستدراك بيانُ الفرقِ بين جزاءِ الظّالمين وجزاءِ المؤمنين، فالظّالمون يُجازون بما عملوا جزاءً عادلاً، وأمّا المؤمنون؛ فإنّهم يُنعمون كرمًا وفضلًا ورحمةً وإحسانًا، وليسَ في مُقابلِ العملِ.

وجه تعريف (العباد) بالإضافة:

تشریف
للمخلصين إيناس
لهم، وتنويه
بعلو منزلتهم

عرّفت الآية هذا الصّنف بوصفِ (العباد) المضاف إلى لفظِ الجلالة في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾، وفي ذلك تنويهٌ بهم وتقريبٌ⁽²⁾، كيف لا، والموقفُ موقفٌ فزعٌ وقد أُمرَ بالظّالمين إلى العذاب، فكان أن ضمّ الله تعالى هؤلاء المخلصين إلى اسمِهِ إيناسًا لهم وتنويهًا بمنزلتهم، وتعليلاً لكونهم عبادًا مُكرّمين، فإنّ اسمَ الجلالة دالٌّ على كلّ الأوصافِ الكمالية، ومَن كان مُضافًا إليه؛ فإنّه يكتسبُ كلّ إنعامٍ منه.

سرّ إظهار لفظ الجلالة:

ضمّ العباد
للمخلصين إلى
حضرته شمول
بجميل منته

أظهرَ لفظُ الجلالة في قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ بدلَ إضماره؛ للدّلالة على ضمّ هؤلاءِ العبادِ إلى حضرته، ونسبتهم إلى خاصّيته، وفيه تنبيهٌ على أنّهم هم مَن رعى لِلّهِ الحقّ مقامه، في مقابلةِ آلهةِ الكفار الذين أبوا تركَ آلهتهم، فهؤلاء وحّدوا الله، وأخلصوا له.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 110.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 110.

نكتة وصف (العباد) بالمُخلصين:

وَصَفَتِ الْآيَةُ عِبَادَ اللَّهِ بِـ «الْمُخْلِصِينَ» فِي قَوْلِهِ: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ»، وَنَكْتَةُ هَذَا الْوَصْفِ هِيَ الْإِشَارَةُ إِلَى تَخْلِيصِهِمْ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ⁽¹⁾، وَهُوَ مَا يَشِيرُ إِلَى تَمَيُّزِ حَالِ هَؤُلَاءِ مِنْ حَالِ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِخْلَاصِهِمْ لِرَبِّهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَقَدْ أَخْلَصُوا التَّوْحِيدَ وَالْعِبَادَةَ لِلَّهِ تَعَالَى، فَأَخْلَصُوا، وَنَجَّوْا مِنْ صِنْفِ الظَّالِمِينَ.

إِيثَارُ لَفْظِ «الْمُخْلِصِينَ» دَلَالَةً وَصِغَةً:

آثَرَتِ الْآيَةُ لَفْظَ «الْمُخْلِصِينَ» فِي قَوْلِهِ: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» لَشَيْءٍ فِي مَادَّتِهِ وَصِغَتِهِ، فَأَمَّا مَادَّتُهُ: فَتَدُلُّ عَلَى التَّخْلِصِ وَالتَّنْقِيَةِ، وَعَلَى التَّخْلِصِ، وَهُوَ النِّجَاةُ، فَأَشَارَ اللَّفْظُ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ فِي تَزْكِيَتِهِمْ وَاجْتِبَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَفِي تَخْلِيصِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخُسْرَانِ وَالْعَذَابِ⁽²⁾، وَأَمَّا صِغَتُهُ: فَقَدْ جَاءَتْ عَلَى صِغَةِ (المفعول)؛ لِيَدُلَّ عَلَى تَحَقُّقِ اجْتِبَائِهِمْ وَخَلَاصِهِمْ، وَهُوَ مَا يَشِيرُ إِلَى تَطْمِينِهِمْ بِوَعْدِ رَبِّهِمْ أَنَّهُ نَاصِرُهُمْ وَمُنْجِيهِمْ.

وجه تعريف «الْمُخْلِصِينَ»:

عَبَّرَتِ الْآيَةُ بِلَفْظِ «الْمُخْلِصِينَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» مُعَرِّفًا بِاللَّامِ، الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ صِنْفٌ مَعْهُودٌ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ، وَهُمْ الرُّسُولُ ﷺ وَصَحْبُهُ⁽³⁾، وَفِي ذَلِكَ دَعْوَةٌ إِلَى اسْتِحْضَارِ حَالِهِمْ، وَكَيْفَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا مَحَلَّ اسْتِهْزَاءٍ وَصَدٍّ وَظُلْمٍ، وَأَنَّهُمْ هُمُ النَّاجُونَ الْيَوْمَ، وَفِي اسْتِحْضَارِهِمْ بِ(ال) الْعَهْدِيَةِ مَزِيدٌ حَسْرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ.

توجيه القراءتين في «الْمُخْلِصِينَ»:

لقراءة لفظِ «الْمُخْلِصِينَ» من قوله: «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ»

جزاء الإخلاص
حُسنُ الخلاص

تزكية ونجاة
وتطمين بتحقيق
وعد الله

استحضار
تشریف
المخلصين
زيادة حسرة
للمشركين

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 229.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 229.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 111.

الاجتنباء مأل حُسن البلاء

وجهان؛ إذ قرأ نافع وأهل الكوفة اللفظ ببناء الفعل للمفعول: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾، أي: إنَّهم اختارَهم الله لعبادته وولايته، وفي ذلك إشارة إلى أنَّهم أخلصوا لله دينهم، فأخلصهم الله لولايته واجتباهم، ونجَّاهم⁽¹⁾؛ إذ يلزم من كونه مُخلصاً أن يكون مُخلصاً، في حين قرأ الباقر اللفظ ببناء الفعل للفاعل: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾، أي: إنَّهم أخلصوا لله العبادة والبلاء الحسن⁽²⁾، ولا يلزم منه أن يكون مُخلصاً، ومما لا شك فيه أن درجة المُخلصين أعلى من درجة المُخلصين.

نكتة التعبير باسم الإشارة للبعيد:

من وجوه الإعلاء التنويه بالمنزلة واستحقاق الجزاء

عبرت الآية عن عباد الله بلفظ ﴿أُولَئِكَ﴾ في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾، وهو اسم الإشارة الموضوع للبعيد الحسي؛ لكنَّه مُستعار للبعد المعنوي، ففي ذلك إشعارٌ بعلو طبقتهم ومبلغ تميزهم وبُعد منزلتهم عمَّن عداهم في الفضل⁽³⁾، وفي تعريف المُسند إليه باسم الإشارة تنبيه على أنَّهم قد استحقوا ما يُسند إليهم؛ لأجل ما أثبت لهم من صفة المخلوصية⁽⁴⁾.

سر تقديم شبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾:

من وجوه الاحتفاء إظهار الاستحقاق ومزيد الحظوة

قدَّم شبه الجملة ﴿لَهُمْ﴾ الواقع نعتاً للخبر في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ على الخبر ﴿رِزْقٌ﴾، فانتصب على الحالية منه، ويدلُّ التقديم هنا على الاحتفاء بالمُخلصين من خلال اختصاصهم بذلك دون غيرهم، فهم أهل لهذا الجزاء، ولأجلهم كان الثواب الجزيل، ولهم خاصة كلُّ الحظوة والتكريم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 111/23.

(2) مكي، الكشف: 10 - 9/2، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 332/26، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

111/23.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 190/7.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 111/23.

إيثار لفظ (الرِّزْق) نكرة:

جاءَ لفظُ «رِزْقٍ» في قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ» نكرة؛ للدلالة على التَّعْظِيمِ⁽¹⁾، فلهُم رِزْقٌ أَي رِزْقٍ؟ إِنَّهُ رِزْقٌ عَظِيمٌ، يَتَنَاسَبُ وتكريمَ المُخْلِصِينَ وكرمَ رَبِّ العَالَمِينَ، وفي ذلك مزيدُ تشويقٍ لمعرفةِ هذا الرِّزْقِ الَّذِي يَأْتِي تفصيلُهُ.

تعظيمُ العطاءِ
من وُجُوهِ حُسْنِ
الوَفَاءِ

نكتةٌ وصِفِ الرِّزْقِ بـ «مَعْلُومٌ»:

وَصِفَ الرِّزْقُ فِي النَّظْمِ بـ «مَعْلُومٌ» في قوله: «أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ»: للدلالة على أَنَّهُ معلومٌ عِنْدَهُمْ مُنَاسِبٌ؛ مِمَّا كَانَ يَطْمَعُ فِيهِ أَهْلُهُ، وَكَانُوا يَرْجُوْنَهُ، فَهَمْ يَنَالُوْنَهُ الْآنَ، وَفِي ذَلِكَ قَرُّ لَأَعْيَبُهُمْ وَإِسْعَادٌ لِرَجَائِهِمْ⁽²⁾، وَنَلْمَحُ فِي هَذَا الْوَصْفِ أَنَّ الرِّزْقَ الْمَعْلُومَ هُوَ الرِّزْقُ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ فِي الْآيَاتِ، مِمَّا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَهُوَ مَعْلُومٌ لَهُمْ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ آمَنُوا بِالْغَيْبِ الْمَوْعَدِ حَتَّى صَارَ مَعْلُومًا عِنْدَهُمْ لَا يَتَرَدَّدُونَ فِيهِ، فَفِيهِ مَدْحٌ لَهُمْ بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ بِالْغَيْبِ وَوَعْدِ اللَّهِ لَهُمْ.

الجزءُ الَّذِي
تَقَرَّرَ بِهِ الْعُيُونُ
يُنَاسِبُ مَا كَانُوا
بِهِ يَرْغَبُونَ

وجاءَ لفظُ «مَعْلُومٌ» نكرةً؛ للدلالة على التَّكْثِيرِ وَالتَّنَوُّعِ وَالْكَمَالِ، فَهُوَ مَعْلُومٌ بِكُلِّ الْأَشْكَالِ الْمُنَاسِبَةِ، وَهُوَ رِزْقٌ مَعْلُومٌ الْوَقْتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۖ» [مريم: 62]، وَمَعْلُومُ الْخَصَائِصِ⁽³⁾، مِنْ طَيِّبِ طَعْمٍ وَرَائِحَةٍ وَلَذَّةٍ وَحُسْنِ مَنْظَرٍ⁽⁴⁾، وَهُوَ رِزْقٌ مَضمونٌ مَعْلُومٌ الْمَوْعَدِ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْ مِيعَادِهِ، وَلَا يَنْتَظَرُهُ أَهْلُهُ⁽⁵⁾.

الرِّزْقُ مَضمونٌ
مَعْلُومُ الْوَقْتِ
وَالْخَصَائِصِ

سُرَّ خَصِرِ الرِّزْقِ بـ (الفواكه):

حَصِرَ (الرِّزْقُ) فِي (الفواكه) في قوله: «رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۖ فَوَاكِهُ»:

طَعَامُ التَّنْفِئَةِ
وَالْتَلَذُّذِ
وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنْ
الْقُوَّةِ أَمَارَةً
كَمَالِ السَّعَادَةِ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 82 / 12.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 471.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5 / 9.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26 / 332.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 111.

ليكونَ المقصودَ بالذكرَ لكونه واقِعًا بدلًا، وليدلَّ على أَنَّ رِزْقَهُمْ كُلَّهُ فَوَاكِهِ⁽¹⁾، فصارَ طعامُهم للتَّلَذُّذِ لا للحاجةِ، وما ذلك إلا لاستغنائهم عن القوتِ وحِفْظِ الصَّحَّةِ⁽²⁾، وفي ذلك إشارةٌ إلى كِفَايَتِهِمْ وَكَمَالِ سَعَادَتِهِمْ بِالتَّفَكُّهِ وَالتَّلَذُّذِ.

نكتة تنكير (الفواكه) وجمعها:

رِزْقُ الْخُلَصِينَ لَا
يُفْقَدُ وَلَا يُسَامُ

عَبَّرَ الْآيَةُ عَنْ لَفْظِ «فَوَاكِهٍ» فِي قَوْلِهِ: «رِزْقُ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾ فَوَاكِهٍ» بِصِغَةِ الْجَمْعِ الْمُنْكَرِ: لِيَدُلَّ هُنَا عَلَى التَّكْثِيرِ وَالتَّنَوُّعِ⁽³⁾، فَهِيَ فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ لَا تَقْضِي، وَمُتَنَوِّعَةٌ لَا يَسَامُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْهَا، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى تَطْمِينِهِمْ، فَلَا انْقِطَاعَ لَهَا، وَلَا سَامَ مِنْهَا.

بلاغة الإيجاز في لفظ «فَوَاكِهٍ»:

جزاءُ الخن
والابتداءُ كمالُ
الصَّحَّةِ ودوامُ
النَّعماءِ

تَضَمَّنَ لَفْظُ «فَوَاكِهٍ» مِنْ قَوْلِهِ: «فَوَاكِهٍ وَهُمْ مُكْرَمُونَ» إِيْجَازًا بَدِيعًا: إِذْ قُصِّرَ الرِّزْقُ فِي الْفَوَاكِهِ، وَفِي هَذَا الْقَصْرِ إِشَارَةٌ إِلَى تَمَامِ أَجْسَادِهِمْ وَدَوَامِ صِحَّتِهِمْ، فَلَا يَمْرَضُونَ، وَلَا يَعْجِزُونَ، وَلَا يَهْرَمُونَ⁽⁴⁾، وَفِيهَا إِشَارَةٌ أَيْضًا إِلَى دَوَامِ التَّنْعَمِ الَّذِي يَنَالُونَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَتْ حَيَاتُهُمْ الدُّنْيَا حَيَاةَ مَحَنٍ وَابْتِلَاءَاتٍ⁽⁵⁾.

دلالة (الواو):

إردافُ التَّكْرِيمِ
الحَسَنِيُّ بِالتَّكْرِيمِ
المَعْنَوِيِّ

أَبْتَدَأَتِ الْجُمْلَةُ: «وَهُمْ مُكْرَمُونَ» بِحَرْفِ (الواو)، وَيُمْكِنُ حَمْلُهَا هُنَا عَلَى الْعَطْفِ، أَيْ: إِنَّهُمْ يُرْزَقُونَ رِزْقًا مَعْلُومًا، وَيُلْقَوْنَ بِالْحَفَاوَةِ وَالبَهْجَةِ⁽⁶⁾، فَذَكَرَتِ الْآيَةُ أَوَّلًا الْعَطَاءَ الْمَادِّيَّ، ثُمَّ ثَنَّتْ بِالْعَطَاءِ الْمَعْنَوِيِّ⁽⁷⁾، وَلَا يَمْنَعُ ذَلِكَ أَنَّ تُحْمَلَ (الواو) عَلَى الْحَالِيَّةِ⁽⁸⁾، أَيْ: إِنَّهُمْ

(1) الزمخشري، الكشاف: 42 / 4.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 332 / 26.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 12 / 7.

(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 268 / 8.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 229 / 16.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 111 / 23.

(7) أبو حيان، البحر المحيط: 100 / 9.

(8) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 266 / 8.

وفي رزقهم بالفواكه يُرَزَقُونَ بالحفاوة والتَّبْجِيل، وفي ذلك إشارة إلى نيلهم درجاتٍ من التَّكْرِيمِ والعَطَاءِ المعنوي الذي لا حدود له.

وجه التعبير بالضمير (هم):

عبَّرَ الآية بالضمير الواقع مُبتدأ في قوله: ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾؛ للدلالة على تميز الحكم الذي يُذكر بعده، وهو الإكرام لهم، فصار الإكرام هو الأجل والأهم في هذا الجزاء، وصار ما سبقه مُقدِّمةً إليه، وفيه أيضاً الإشادة بهؤلاء المُخلصين الذين استحقوا التَّكْرِيمَ.

سرُّ التعبير باسم المفعول ﴿مُكْرَمُونَ﴾:

عبَّرَ النظم بلفظ ﴿مُكْرَمُونَ﴾ في قوله: ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ على هيئة اسم المفعول؛ للدلالة على تحقق وقوع الإكرام عليهم⁽¹⁾، فهو إكرامٌ ليس بعده إكرامٌ، فمن نالهُ؛ فقد نال الفضل الكبير، وفيه دلالةٌ أيضاً على دوام الإكرام، فهو لا يَلْحَقُهُ نقصٌ وهوانٌ⁽²⁾، وفي ذلك إشارة إلى كمال إكرامهم.

معنى ﴿في﴾:

جُرَّ لفظ ﴿جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ بحرف ﴿في﴾؛ ليدلَّ على الظرفية المكانية⁽³⁾، وفي ذلك إشارة إلى استحضار المحلِّ بعد بيان أفضل الكرامة، وأطيب المأكَل، فللمقام مزيد كرامةٍ على تلك المكرمات، ويصلح حرف الجرَّ أن يكون مُتعلِّقاً بالرزق والإكرام، وهو الأولى؛ ليكون مكان الرزق ومحل الحفاوة واحداً.

علة جمع ﴿جَنَّاتٍ﴾:

جُمِعَ لفظُ (الجَنَّاتِ) في قوله: ﴿في جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾؛ ليدلَّ ذلك على التوزيع، فلكل واحدٍ من هؤلاء المُكرِّمين جَنَّةٌ ورياضةٌ، لا يُشْرِكُهُ

الإكرام
أعظم الجزاء
للمخلصين

من أفضاليه
سبحانه كمال
الإكرام ودوامه

استحضار محل
الإكرام من تمام
الإنعام

من وجوه
المكرمات التفرُّد
والتنوع في
الجَنَّاتِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 229/16.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 190/7، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 111/23.

(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 9/5.

فيها أحدٌ، وهذا من كمالِ المَكْرَمَةِ، ويدلُّ الجمعُ أيضًا على التَّكثيرِ؛
فللمُخلصينَ جَنّاتٌ بعدها جَنّاتٌ، كلُّما دخلوا جَنَّةً؛ استشفروا إلى ما
بعدها، وفي التَّعدُّدِ مزيدٌ إكرامٍ.

نكتةٌ إضافيةٌ ﴿جَنَّتْ﴾ إلى ﴿النَّعِيمِ﴾:

ليس في الجنّاتِ
إلاّ النّعيمُ

عُرِفَتِ (الجنّاتُ) بإضافتها إلى ﴿النَّعِيمِ﴾ في قوله: ﴿جَنَّتْ﴾
﴿النَّعِيمِ﴾، وفي تعريفها بذلك دلالةٌ على أنّها ليس فيها إلاّ النّعيمُ⁽¹⁾،
فليست كجنّاتِ الدنيا فيها تعبٌ ونصبٌ، ولا تصفوا إلاّ مع عملٍ
دؤوبٍ؛ سقايةً وتهذيباً وحرثاً وتوضيباً، أمّا جنّاتُ الآخرة؛ فهي
للنّعيمِ، فالإضافة هنا على معنى (لام الاختصاصِ) المفيدة
للحَصْرِ⁽²⁾، ونسبةُ الجنّاتِ إلى النّعيمِ دليلٌ على استعارةٍ مكنيةٍ
بتشبيهِ ﴿النَّعِيمِ﴾، وهو أمرٌ معنويٌّ بذاتٍ له جنّاتٌ، ثمّ حذفه، وجعل
الاختصاصَ قرينةً تدلُّ عليه، فيكونُ في إضافةِ الجنّاتِ للنّعيمِ
تخييلٌ وصولاً إلى كمالِ تلك الجنّاتِ جمالاً ونعيمًا وسُروراً.

وجهُ تعريفِ ﴿النَّعِيمِ﴾:

كمالُ النّعيمِ
بعضٌ من
أفضالِ النّعيمِ

عَرَفَ النَّظْمُ لفظَ ﴿النَّعِيمِ﴾ في قوله: ﴿فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ بـ(ال)
الدّالةِ على كمالِ الجنسِ، أي: إنّ نعيمها هو أكملُ نعيمٍ، فلا يُتَصَوَّرُ
فيها غيره⁽³⁾، ولا يُتَصَوَّرُ قصورُ النّعيمِ فيها عن تمامه؛ أليس المنعمُ
هوربَّ العزّة؟ وفي ذكرِ كمالِ النّعيمِ مقابلةٌ لكمالِ الجحيمِ السّابقِ
في قوله: ﴿الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾.

معنى ﴿عَلَى﴾:

التمكّن في
المجلسِ زيادةً في
النّعمِ

عَبَّرَتِ الآيَةُ بتحديدٍ مكانيٍّ آخرَ بالحرفِ ﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿عَلَى
سُرُرٍ مُّتَقَلِّبينَ﴾؛ ليدلَّ على الاستعلاءِ والتمكّنِ، فهمُ جالسونَ على

(1) البياضوي، أنوار التنزيل: 9/5.

(2) الألوسي، روح المعاني: 83/12.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 229/16.

سُرُرٍ⁽¹⁾، وهم متمكنون على تلك السُرر في راحة تامة، وفي ذلك مزيد تنعم، وفي ذكر كَوْنِ الرِّزْقِ والإِكْرَامِ في الجنات وتحديد السُرر مَحَلًّا آخَرَ للإِكْرَامِ؛ لبيان أن مكانهم في تلك الجنات على الأسرّة، وليس على أرض الجنة وإن كانت مسكًا وعرسًا عظيمًا.

سُرُّ جمع ﴿سُرٌّ﴾ وتكثيره:

جاءَ لفظُ ﴿سُرٌّ﴾ جمعًا منكرًا في قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾؛ ليدلَّ جمعه على تعدد الأسرّة بتعدد أصحابها، فكلُّ واحدٍ سريره الخاصُّ به كالمُلُوكِ⁽²⁾، وليدلَّ الجمعُ على كثرتها وتعدد استعمالها، ومَوَاضِعِ وجودها بما تُعطي من راحةٍ، ويدلُّ تكثيرُ لفظِ ﴿سُرُرٍ﴾ على تفخيمها؛ لأنَّ الجلوسَ عليها هو جلوسُ أهلِ النعيمِ⁽³⁾.

وجهُ التعبيرِ بلفظِ ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ دلالةً وصيغةً:

عبّر النظمُ بلفظِ ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ في قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ للجالسين على السُرر، ويدلُّ معنى التَّقابُلِ هنا على المواجهة، وتدلُّ صيغةُ (التَّعَاوُلِ) على أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يلقي الآخرَ بوجهه مُقْبِلًا⁽⁴⁾، وفي ذلك أتمُّ الأُنس؛ لأنَّ فيه أُنسَ الاجتماع، وأُنسَ نظرٍ بعضهم إلى بعضٍ، وفي رؤيةِ الحبيبِ والصديقِ أُنسٌ للنفسِ⁽⁵⁾.

دلالةُ الحالِّيةِ في ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾:

جاءَ لفظُ ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ في قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ حالًا لأصحابِ النعيمِ أثناءَ جلوسِهِم على السُرر، ودلَّ الحالُّ هنا على الأُنسِ بينهم، حتَّى قابلَ كلُّ واحدٍ منهم الآخرَ، فلا تدابَّرَ ولا تقاطعَ،

جلوسُ المكرمين
ارتياحٌ ونعيمٌ

يُزَادُ الأُنْسُ
بِالإِقْبَالِ عَلَى
الصَّدِيقِ وَرُؤْيَا
الرَّفِيقِ

بصفاء السرائرِ
تخلو الخواطرُ
ويتنفي التدابرُ

(1) للراعي، تفسير الراعي: 56 / 23.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 229 / 16.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 112 / 23.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 229 / 16.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 112 / 23.

كما دلَّ على السُّرورِ بالتَّلاقي، فلا كُلفةَ بينهم، ولا يكونُ ذلك إلا مع خُلُوِّ الخواطر وصفاءِ السَّرائر⁽¹⁾، وذلك من النِّعيمِ أيضًا.

موقعُ جملة ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾:

من تمام نعيم
الوهابِ النِّنةِ
بلذِيذِ الشَّرابِ

عبَّرت الآيةُ بجملة: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ بعدَ ذكرِ استقرارِ أهلِ الجنانِ على سُرُرٍ مُتقابلين، ويمكنُ أن تكونَ الجملةُ مستأنفة - لا محل لها من الإعراب - لبيانِ صفةِ المُشربِ بعدَ بيانِ صفةِ المأكَلِ والمَسْكَنِ⁽²⁾، فإذا ذُكرَ نعيمُ الطَّعامِ ونعيمُ المقامِ وأنسُ الخُلانِ؛ تاقَتِ النَّفسُ إلى لذِيذِ الشَّرابِ، ويمكنُ حملُ الجملةِ على الحالِيَّةِ، أي: إنَّهم وهم على أسِرَّتِهِمْ مُتقابلين يسارعُ الخدمُ بتلك الآنيةِ يطوفونَ حولَهُم كالمُلوِك⁽³⁾، كما يحتملُ أن تكونَ الجملةُ صفةً لـ ﴿مُكْرَمُونَ﴾⁽⁴⁾، لإفادةِ توكيدِ المعنى وتعظيمه.

علَّةُ التَّعبيرِ بالمُضارعِ المبنيِّ للمفعولِ ﴿يُطَافُ﴾:

مزيّدُ التَّهْنِي
بخدمَةِ لا تني

عبَّرَ النُّظْمُ بالفعلِ ﴿يُطَافُ﴾ في قولهِ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ المضارعِ المبنيِّ للمفعولِ؛ وعلَّةُ كونهِ فعلاً مضارعاً دلالةً على تجدُّدِ الطَّوافِ عليهم حيناً بعدَ حينٍ، لا يتوقَّفُ الخدمُ بالمدد، ولا يفترُونَ عنِ الخِدْمَةِ، ويدلُّ البناءُ للمفعولِ على أنَّ المقصودَ هو الطَّوافُ لا كونهُ من مُعَيَّنٍ، فلا يُلْتَفَتُ إلى الخادِمِ بقدرِ ما يُرَقِّهُ المَخْدُومُ⁽⁵⁾.

مَعْنَى (على):

بإدلاءِ الشَّرابِ
يُكْرَمُ الأطيَابِ

آثَرَتِ الآيةُ التَّعبيرَ بحرفِ (على) في قولهِ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ دونَ (بينهم) أو (فيهم)؛ وذلك لدلالةِ (على) على الاستعلاءِ، فقد زادتِ المعنى دلالةً خاصَّةً، وهي أنَّ طوافَ الخَدَمِ بالمُكْرَمِينَ،

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 42، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/ 332.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/ 332.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 229، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 112.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/ 332.

(5) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 100، والبقاعي، نظم الدرر: 16/ 229.

وهم يُدَلُّونَ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ الْعُلُوِّ؛ لِيَكُونَ أَشْرَفَ لَهُمْ وَأَصَوْنَ، وَفِي ذَلِكَ مَزِيدٌ إِكْرَامٍ⁽¹⁾، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْخِدْمَ وَالْقِفُونَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَالْمَخْدُومُونَ جَالِسُونَ عَلَى أَسْرَتِهِمْ، وَهُمْ يَقُومُونَ بِالْخِدْمَةِ عَلَيْهِمْ.

عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

فِي لَفْظِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ ضَمِيرُ جَمْعِ الْغَائِبِ، الْعَائِدِ عَلَى أَصْحَابِ الْجَنَّاتِ، وَفِي إِضْمَارِهِ إِحَالَةٌ إِلَى الْمُكْرَمِينَ الْمُنْعَمِينَ بِالرِّزْقِ وَالْفَاكِهَةِ وَمَجَالِسِ الْأَنْسِ، وَهِيَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَتَنَاوَلُونَ ذَلِكَ بَأَنْفُسِهِمْ، بَلْ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِالْكُؤُوسِ، وَهُوَ دَلِيلُ الْخِدْمَةِ وَالتَّرَفِّهِ⁽²⁾.

سَرُّ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾:

قَدَّمَ النَّظْمُ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ عَلَى مَتَعَلِّقِ الطَّوَافِ ﴿بِكَأْسٍ﴾؛ لَزِيَادَةِ الْإِهْتِمَامِ بِالْمُكْرَمِينَ، فَهُمْ الْمَقْصُودُونَ بِالطَّوَافِ وَالْخِدْمَةِ، وَمَا الطَّوَافُ بِالْكَأْسِ الصَّافِيَةِ إِلَّا لِأَجْلِهِمْ، وَبِذِكْرِ الْمُرْفَعِ تَظْهَرُ قِيَمَةُ الْكَأْسِ الْمُقَدَّمَةِ إِلَيْهِمْ وَنَوْعِيَّةُ الْخِدْمَةِ الَّتِي تَوَدَّى لَهُمْ.

مَعْنَى (الْبَاءِ) فِي ﴿بِكَأْسٍ﴾:

جَاءَ لَفْظُ (كَأْسٍ) فِي قَوْلِهِ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ مَجْرُورًا بِحَرْفِ (الْبَاءِ)، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ هُنَا بَاءَ التَّعْدِيَةِ أَوْ الْآلَةِ، فَلَا يَطُوفُ الْخِدْمُ عَلَى الْمُكْرَمِينَ بِلَا مَعْنَى، بَلْ لِأَجْلِ سَقْيِهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الطَّوَافَ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ مُهِمَّةٍ، فَهُمْ أَبَدًا فِي خِدْمَةٍ؛ كُلَّمَا نَقَصَتْ كَأْسُ زَادُوهَا، فَفِي تَحْدِيدِ آلَةِ السَّقْيِ، وَأَنَّهُ يَكُونُ بِالْكَأْسِ، تَمْيِيزٌ لِإِكْرَامِهِمْ، فَهُمْ لَا يَشْرَبُونَ إِلَّا مِنْ كَأْسٍ مُقَدَّمَةٍ لَهُمْ دُونَ الْغَرْفِ أَوْ الشَّرْبِ بِآلَاتٍ أُخْرَى،

الطَّوَافُ
بِالْكُؤُوسِ
تَشْرِيفٌ
لِلنَّفُوسِ

تَخْصِيصُهُمْ
بِالسَّقَايَةِ
لِمَزِيدِ الْعِنَايَةِ
وَالْحَفَاوَةِ

تَحْدِيدُ آلَةِ
السَّقْيِ وَالْإِكْرَامِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 230 / 16.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 100 / 9.

وإن كانت (الكأس) مجازاً عما فيها، فإن (الباء) للتوكيد، أي: يشربون كأساً.

ويُحتمل أن تكون الباء هنا للملاسة بمعنى (مع) تتعلق بحالة محذوفة عن الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وهي حال سببية والتقدير: ملاسوا الطائف عليهم كأساً⁽¹⁾.

نكتة تنكير (كأس) وإفرايدها:

كأسٌ تزيد
الأنس بالجليس

جاء لفظ (كأس) في قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ نكرةً مفرداً، ونكتة تنكيره هي التّفخيمُ، فهي كأسٌ عظيمةٌ يحارُّ العقلُ في تصوُّرِ جمالِها وكمالِها، ومما زاد خصوصيةَ (الكأس) مجيءُ لفظها مفرداً مع أنَّ المَطوفَ عليهم كثيرون⁽²⁾، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المراد بالكأس الآلةُ، وأمّا إن أُريدَ بالكأس (الخمِرُ)؛ فإنَّ الكأسَ اسمُ جنسٍ يرادُ به الحقيقةُ، فهم يطوفون عليهم بنوعٍ عجيبٍ من الخمرِ يلتذُّ به الشاربون.

بلاغة الجاز في لفظ (كأس):

مُتعةُ الشَّرابِ في
مجالس أنس
الأحباب

تضمَّن لفظ (كأس) في قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ﴾ مجازاً مُرسلاً، علاقته إطلاقُ المحلِّ على الحال⁽³⁾، فقد ذُكِرَ (الكأسُ)، ولم يُقصدِ الإناء بقدرِ ما قُصدِ الشَّرابُ، حتَّى إنَّ الإناءَ لا يُعدُّ شيئاً إذا ما خلا من الشَّرابِ، فصارَ المقصودُ بالكأسِ ما حلَّ فيها، وحينئذٍ تكونُ (الباء) مَزِيْدَةً للتَّوكيدِ، وليستْ للآلةِ أو التَّعديةِ، فهم يشربون الكأسَ نفسَها، فقد تعارفَ العربُ حتَّى اشتهرَ عندهم إطلاقُ الكأسِ على الخمرِ، وما ذلك إلَّا لِمَتَّعَ شاربُها بها وأنسَها بمَجْلِسِهِ، والكؤوسُ تدارُّ عليهم، فشَوَّفَهم المولى تعالى إلى حَمْرِ الجَنَّةِ؛

(1) قباوة، التفسير للفصل، ص: 1597.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 112/23.

(3) أبو حيان، البحر المحيط: 101/9، والآلوسي، روح اللاني: 84/12.

لِيَزِدَادُوا بِهَا تَنْعَمًا، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَخَمْرِ الدُّنْيَا، وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُرَادَ
بِالْكَأْسِ الْآلَةُ وَمَا فِيهَا مَعًا؛ إِذِ الْكَأْسُ لَا يُطْلَقُ عَلَى الْآلَةِ الْفَارِغَةِ مِنَ
الْمَشْرُوبِ، وَيَكُونُ ذِكْرُ الْآلَةِ تَحَرُّزًا عَنْ ذِكْرِ الْخَمْرِ، وَشَرْفُ الْكَأْسِ
يُعْطَى شَرْفًا لِمَا فِيهِ، وَأَنَّهُ يَخْتَلَفُ ذَلِكَ الْمَشْرُوبُ عَنْ خُمُورِ الدُّنْيَا.

معنى ﴿مِّن﴾:

جُرَّ لَفْظُ ﴿مَعِينٍ﴾ بِالْحَرْفِ ﴿مِّن﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِكَأْسٍ مِّنْ
مَّعِينٍ﴾؛ لِيَدُلَّ الْحَرْفُ ﴿مِّن﴾ عَلَى الْجِنْسِ⁽¹⁾، أَيْ: إِنَّهُمْ يَسْقُونَهُمْ
شَرَابًا مِنْ جِنْسِ الشَّرَابِ الْمَعِينِ، أَوْ شَرَابَ نَهْرٍ مَعِينٍ، عَلَى إِضْمَارِ
صِفَةٍ لِّلْكَأْسِ⁽²⁾، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى تَمَيُّزِ الشَّرَابِ، وَأَنَّهُ شَرَابٌ
لَيْسَ كَغَيْرِهِ مِنَ الشَّرَابِ صَفَاءً وَجَرِيَانًا.

سُرِّيَاثَارِ لَفْظِ ﴿مَعِينٍ﴾:

أَثَرَتِ الْآيَةُ التَّعْبِيرَ بِلَفْظِ ﴿مَعِينٍ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾،
وَيَكْمُنُ سُرُّ ذَلِكَ فِي دَلَالَتِهِ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ تَبَعًا لِأَصْلِ مَعْنَاهُ، فَيَدُلُّ عَلَى
الْجَرِيَانِ وَالكَثْرَةِ، فَلَا تَكَادُ خَمْرُ الْجَنَّةِ تَنْقَطِعُ لِكثَرَتِهَا⁽³⁾، وَهِيَ تَجْرِي
أَنْهَارًا⁽⁴⁾، لَيْسَتْ كَخَمْرِ الدُّنْيَا مَعْصُورَةٌ مُخْتَزَنَةٌ⁽⁵⁾، وَزَادَهُ دَلَالَةُ مَجِيئِهِ عَلَى
وِزْنِ الْمُبَالَغَةِ (فَعِيل)⁽⁶⁾، فَزَادَهُ مِبَالَغَةً فِي دَلَالَتِي الْجَرِيِّ وَالكَثْرَةِ، كَمَا يَدُلُّ
عَلَى النَّبْعِ وَالظُّهُورِ وَالصَّفَاءِ، مِنْ (عَانَ الْمَعِينُ) بِاسْمِ الْمَفْعُولِ⁽⁷⁾، أَيْ: إِنَّهَا
خَمْرٌ ظَاهِرَةٌ زَقْرَافَةٌ تَتَّبِعُ كَمَا تَتَّبِعُ الْمَاءُ، لَا يُعَالِجُونَهَا بِعَصْرِ⁽⁸⁾، فَجُمِعَتْ
الدَّلَالَةُ بَيْنَ الْجَرِيَانِ وَالكَثْرَةِ كَالْأَنْهَارِ وَبَيْنَ الصَّفَاءِ كَمَاءِ الْمَنَابِعِ⁽⁹⁾.

شَرَابُ الْجَنَّةِ
يَجْمَعُ بَيْنَ
جَرِيَانِ الْأَنْهَارِ
وَصَفَاءِ الْمَنَابِعِ

(1) للرازي، الجنى الداني، ص: 301.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 191، والآلوسي، روح المعاني: 84/ 12.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 230.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 113.

(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 472.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 113.

(7) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 26/ 332.

(8) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 230، والآلوسي، روح المعاني: 84/ 12.

(9) الآلوسي، روح المعاني: 84/ 12.

وجه تنكير لفظ «مَعِين»:

خمر الجنة لا
تنفد، ولا تنقطع

جاء لفظ «مَعِين» في قوله: «يَكْأْسٍ مِّن مَّعِينٍ» نكرة؛ ليدلَّ التَّنْكِيرُ على التَّكْثِيرِ والتَّنْوِيعِ، فهي خمرٌ، لا تنفدُ لكثرتها حتى جرت أنهارًا في الجنة، وهي خمرٌ لا تنضبُ؛ إذ هي قريبة المأخذِ تتبعُ كنبعِ الماءِ، وفي ذلك إشارةٌ إلى امتلاءِ كؤوسِهِمْ خَمَرًا لا تنقطعُ.

سرُّ الوصفِ بلفظِ «بَيْضَاءَ»:

بهاء اللون ونقاء
الطعم يُغري
بدوام التناول

وُصِفَ (الكأس) بلفظِ «بَيْضَاءَ» في قوله: «يَكْأْسٍ مِّن مَّعِينٍ» ﴿١٥ بَيْضَاءَ﴾؛ لرجوع وصفِ الخمرِ باللونِ الأبيضِ إلى دلالةِ البياضِ على الصِّفاءِ والحُسْنِ، فلونُ خمرِ الجنةِ حسنٌ مُشرقٌ بهيًّا⁽¹⁾، وهو ما يُغري بتناولِها، وخمرُ الجنةِ صافٍ نقيٌّ، وهو ما يدعو أيضًا إلى استساغتها والارتواءِ منها؛ لأنَّها في غايةِ اللطافةِ تتلألُ نورًا⁽²⁾، ولا يبعدُ أن يكونَ البياضُ وصفًا لكلِّ مِنَ الكأسِ والخمرِ معًا.

وجه تأنيثِ وصفِ (الكأس):

الخمر في
الكأس بيضاء
لا مثيل لها في
النقاء

جاء وصفُ (الكأس) بلفظِ «بَيْضَاءَ»، وهو صفةٌ مشبهةٌ في قوله: «يَكْأْسٍ مِّن مَّعِينٍ» ﴿١٥ بَيْضَاءَ﴾؛ ليكونَ وصفًا مؤنثًا لموصوفٍ مُذكرٍ، وهو (الخمر)؛ لأنَّه جرى تأنيثُ الوصفِ تبعًا للتعبيرِ عن الخمرِ بلفظِ (كأس)⁽³⁾، ولا يبعدُ أن يكونَ البياضُ وصفًا للكأسِ ووصفًا للخمرِ معًا.

دلالة الوصفِ بالمصدرِ في «لَذَّة»:

خمر هي اللذة
عينها لا يَمَلُّها
الشارب

وُصِفَتِ (الخمر) بلفظِ «لَذَّةٍ» في قوله: «بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ»، وهو مصدرٌ، أي: ذاتُ لَذَّةٍ، وكانَ أصلُ العبارة: (كأسٌ بيضاء ذاتُ لَذَّةٍ أو لذيزة)، فَعَدَلَ النُّظْمُ عن الوصفِ إلى المصدرِ اتِّساعًا في

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7 / 13.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 230.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 113.

الوصف؛ لإفادة المبالغة في تمكُّن هذا الوصف⁽¹⁾، فهي خمرٌ ذات لَذَّةٍ هي أقصى اللَذَّةِ حتَّى صارتِ الخمرُ نفسُها هي اللَذَّةُ.

معنى (الآدم):

جُرَّ لفظُ (الشاربين) باللام في قوله: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾، وهي لامُ الاختصاصِ والأجل، فلاجلِ الشَّارِبِينَ أُعِدَّتْ هذه الخمرُ النقيَّةُ الطَّيِّبَةُ الطَّعْمُ الكثيرةُ الجاريةُ الرِّقاقةُ خَصِيصًا لَهُمْ، وفي ذلك إشارةٌ إلى كمالِ التَّكْرِيمِ والتَّعْنِيمِ الَّذِي يَنَالُهُ أَصْحَابُ الْجَنَانِ.

يُنَاثِرُ التَّعْبِيرُ بِاسْمِ الْفَاعِلِ (الشاربين):

جاءَ لفظُ (الشاربين) في قوله: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ اسمُ فاعِلٍ مجموعًا؛ ليدلَّ ذلك على تمكُّن وصفِ الشُّرْبِ مِنْ هَؤُلَاءِ، فلهُم شوقٌ عظيمٌ لتناولِها لأجلِ كَمَالِ لَذَّتِهَا، وقد جاءَ ذِكْرُهُم بالجمع؛ لاستحضارِ المزايدةِ بينهم في درجاتِ لَذَّتِهَا وحُسْنِ مَذَاقِهَا، والتَّمَتُّعِ بها، فلا يَصِفُونَهَا إِلَّا بِكاملِ اللَذَّةِ، حتَّى صارتِ هي اللَذَّةُ ذاتها.

دلالة تعريف (الشاربين):

عبَّرت الآيةُ بلفظِ (الشَّارِبِينَ) مُعَرِّفًا في قوله: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾، ودلَّ التَّعْرِيفُ هنا على الجنسِ، أي: إِنَّ خمرَ الجنَّةِ ذاتُ لَذَّةٍ يشهدُ بها كلُّ مَنْ عاقرَ الخمرَ، وأدمنَ شُرْبَها؛ فهي تُفِيدُ الشمولَ والعمومَ، وفي ذلك إشادةٌ بشرابِ أهلِ الجنَّةِ ومزيدِ تَكْرِيمِ لَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَطْيَابِ.

نكتةٌ حذفِ مُتَعَلِّقِ (الشاربين):

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ (الشاربين) في قوله: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾، مع أنَّه ظاهرٌ، وهو الخمرُ خاصَّةً؛ إذ لا يُذَكَّرُ الشَّارِبُ مُنْفَرِدًا إِلَّا لِلخمرِ، والتَّقْدِيرُ: (يشربون الخمرَ، أو مِنْها، أو بها) على إرادة

أُعِدَّتِ الخمرُ
لأجلِ الشَّارِبِينَ
إِكْرَامًا

كمالُ لَذَّةِ الخمرِ
داعٍ لِدوامِ
تناولِها

خمرُ الجنَّةِ
يَرْجُوها شاربُها
أشدَّ الرِّجاءِ

تصويرُ تمامِ
مَشْهَدِ التَّنْعَمِ
والتَّكْرِيمِ فِي
الْجَنَانِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 472، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 113.

الكأس، ونكتة ذلك إرادة العموم كما دلّ عليه تقدير المتعلّق، ويحتمل أن (الشاربين) لفظٌ أُريدَ به اللازم، فيكون القصدُ لذكر الفاعلِ خاصّةً، أي: استحضارُ فعلِ الشّرابِ ومُنادمةِ الخمرِ لذِيدةٍ صافيةٍ بيضاء؛ تصويرًا لتمامِ مشهدِ التّنعّمِ والتّكريمِ في الجنان.

موقعُ جملة ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾:

نفى النقصِ نداءً
بالكمالِ

جاءت جملة: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ عقبَ وصفِ خمرِ الجنّةِ بالمعِينِ والبيضاءِ واللّذة، وهي صفاتُ كمال، وقد يخطرُ في الذّهنِ ما في الخمرِ من مثالب، فجاءتِ الجملةُ لتنفّيها⁽¹⁾، فهي جملةٌ نعتيّةٌ للكأس، تحقّقُ التّحفّظَ، وتُنادي بالكمالِ، وتفيدُ الاحتِراسَ.

سرُّ إظهارِ ﴿لَا﴾ النّافية للجنس:

نفى عيوبِ
الخمرِ تنزيهًا لها
مِن النّقائصِ

آثرتِ الآيةُ النّفيَ بـ﴿لَا﴾ في قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ دونَ النّفيِ بـ﴿ما﴾؛ لأنّ النّفيَ بـ﴿ما﴾ يردُّ ردًّا على اعتراض⁽²⁾، والعربُ لم تكنْ تعترضُ على الخمرِ رغمَ ما فيها من عيوبٍ، فكانوا يُفَرِّقونَ بعيوبها مع أنّهم يُعاقِرُونها، ويأبُون تركها؛ لذلك جاء النّفيُ بـ﴿لَا﴾ لإبعادِ تلكِ النّقائصِ، كما أنّ ﴿لَا﴾ موضوعةٌ لنّفيِ الجنسِ على سبيلِ القطعِ دالّةٌ على الاستغراقِ، وتفيدُ التّوكيدَ والتّحقيقَ، فلا يوجدُ أيُّ غولٍ فيها، ولا مجالَ لإنكارِ كونها خمرًا مع كونها لا تشتملُ على الغولِ.

معنى (في):

خمرُ الآخرةِ خلوّ
مِن الغولِ

عبّرتِ الآيةُ بحرفِ (في) في قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الدّالِّ على الطّرفيّةِ المجازيّةِ، والمقصودُ هنا هو احتواءُ الخمرِ على الهلاكِ والصّداعِ، فالغولُ مُتضمّنٌ في الخمرِ، كأنّه مظروفٌ فيها، لصيقٌ بها لا تخلو منه، ولا تنفكُ؛ لأنّه ناتجٌ عنها، فجعلَ النّاتجَ من الشّيءِ كأنّه فيه، وإنْ كان الهلاكُ قائمًا بالشاربِ والصّداعُ حاصلًا عنده.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16 / 231.

(2) السامرائي، معاني النحو: 1 / 335.

عَوْدُ الصَّمِيرِ فِي «فِيهَا»:

عَادَ الصَّمِيرُ فِي لَفْظِ «فِيهَا» مِنْ قَوْلِهِ: «لَا فِيهَا غَوْلٌ» إِلَى خَمْرِ الْجَنَّةِ⁽¹⁾، فَهِيَ خَمْرٌ تَخْلُو تَمَامًا مِنَ الضَّرِّ وَالْإِهْلَاكِ، فَإِنْ كَانَ مِنْ غَوْلٍ؛ فَفِي خَمْرِ الدُّنْيَا، إِلَّا أَنَّ خَمَرَ الْجَنَّةِ نَعِيمٌ لَا ضَرَّ فِيهِ.

خَمْرُ الْجَنَّةِ
نَعِيمٌ لَا ضَرَّ فِيهِ

سَرُّ تَقْدِيمِ شَبِّهِ الْجُمْلَةِ «فِيهَا»:

قُدِّمَ شَبُّ الْجُمْلَةِ «فِيهَا» مِنْ قَوْلِهِ: «لَا فِيهَا غَوْلٌ» عَلَى اسْمِ «لَا» النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ، وَذَلِكَ لِإِفَادَةِ التَّخْصِيسِ، أَيْ: إِنَّ الْغَوْلَ مُنْتَفٍ عَنْ خَمْرِ الْجَنَّةِ فَقَطْ دُونَ مَا يُعْرَفُ مِنْ خَمُورِ الدُّنْيَا، فَالتَّقْدِيمُ هُنَا هُوَ قَصْرٌ قَلْبٍ⁽²⁾ قَصَرَ صِفَةً عَلَى مَوْصُوفٍ⁽³⁾، أَيْ: إِنَّ خَمَرَ الْجَنَّةِ وَحْدَهَا خَالِيَةٌ تَمَامًا مِنَ الْغَوْلِ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى تَفْضِيلِهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَمُنَاسَبَتِهَا لِتَكْرِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

خَمْرُ الْجَمَالِ
تَنَاسَبَتْ تَكْرِيمَ
أَهْلِ الْجَنَانِ

بِلَاغَةُ اسْتِعْمَالِ لَفْظِ «غَوْلٌ» نَكْرَةً:

جَاءَ لَفْظُ «غَوْلٌ» نَكْرَةً، وَبَدَلَ تَنْكِيرِهِ عَلَى انْتِفَاءِ جِنْسِ الْغَوْلِ مِنْ أَصْلِهِ⁽⁴⁾؛ إِذِ النُّكْرَةُ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ لِلْعُمُومِ، فَلَيْسَ فِيهَا أَدْنَى شَيْءٍ مِنَ الضَّرِّ صَدَاعًا أَوْ غَيْرُهُ وَفِي ذَلِكَ كَمَالٌ لِهَذِهِ الْخَمْرِ فَهِيَ لَذَّةٌ خَالِصَةٌ وَلَا ضَرَّ فِيهَا أَصْلًا، وَنَفْيِ الْغَوْلِ الَّذِي يَعْتَرِي شَارِبِي الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا، بِاعْتِبَارِهِ مَقْدَمَةُ التَّحْرِيمِ الَّتِي تَجْعَلُ الْعُقُولَ مَغْتَالَةً، وَلِذَلِكَ فَفِي الْآيَةِ إِيمَاءٌ صَرِيحٌ بِأَنَّ اغْتِيَالَ الْعُقُولِ لَنْ يَكُونَ فِي الْجَنَّةِ، فَهِيَ لَذَّةٌ خَالِصَةٌ سَائِغَةٌ لَا ضَرَرَ مِنْ وَرَائِهَا.

أَسْبَابُ تَحْرِيمِ
خَمْرِ الدُّنْيَا
غَائِبَةٌ عَنْ خَمْرِ
الْجَنَّةِ

تَوْجِيهُ الْعَطْفِ بِتَكَرُّارِ «وَلَا»:

عُطِفَتْ جُمْلَةٌ: «وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ» عَلَى جُمْلَةِ الْوَصْفِ: «لَا فِيهَا غَوْلٌ» بِحَرْفِ (الواو) مَعَ تَكَرُّارِ (لَا) النَّافِيَةِ، وَهُوَ مِنْ عَطْفِ

لَا أَدْنَى فِي خَمْرِ
الْجَنَّةِ، وَلَا مَا
يُذْهَبُ الْعَقْلُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 37/21.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 113/23.

(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 256/16.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 114/23.

الخاص على العام⁽¹⁾؛ إذ بعد أن نَفَتِ الجملة المعطوف عليها عن خمر الجنة ما يهلك، ويضر؛ خَصَّتْ من ذلك ما يُؤَثِّرُ على العقل، وَيُغَيِّبُهُ؛ لما له من أثرٍ وخطرٍ، فلذلك خَصَّهُ دون غيره من صور الضر⁽²⁾، وفي تكرار (لا) مزيد تأكيد على نفي ذلك ودوامه⁽³⁾.

سرُّ التعبير بضمير الفصل ﴿هُم﴾:

عَبَّرَت الآية بالضمير ﴿هُم﴾ الواقع في صدر الجملة الاسميَّة المُخْبِر عنها بالفعل في قوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾؛ لإفادة تقوية الحكم مع التخصيص، والضمير راجع إلى المُكْرَمِينَ؛ لبيان أن من إكرامهم ألا يتعرَّضوا في شرب الخمر إلى ما يهينهم، أو يحقرهم.

معنى (عن):

جاء التعبير بلفظ ﴿عَنْهَا﴾ في قوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ للدلالة على السببية⁽⁴⁾، فهو بمعنى الباء، أي: ولا هم بسبب شربها تنزف عقولهم، وتختل أفكارهم، كما هي خمر الدنيا، وفي ذلك إشارة إلى حفظ مقام شاربها وصون كرامتهم، وإنما عبَّر عن السببية بـ (عن) الموضوعية للمجاوزة؛ لأنَّ النَّزْفَ يصدُرُ عَقِبَ شربها؛ فكأنَّه يتجاوز شربها؛ ليصل إلى الشارب، فهي سببية تعقيبية.

نكتة تقديم متعلِّق الخبر:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿عَنْهَا﴾ على الخبرِ الفعليِّ ﴿يُنْزَفُونَ﴾ في قوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾؛ لإفادة تخصيص خمر الجنة بذلك، فهي خمر لا أثر لها أبداً في نزف العقول، بخلاف غيرها من سائر الخُمُور⁽⁵⁾.

إثبات كرامة
الأطياب، وتأكيد
سلامة الشراب

مَقَامُ الشَّارِبِينَ
مَحْفُوظٌ
وَكِرَامَتُهُمْ
مَصُونَةٌ

تَمَيُّزُ خَمْرِ الْجَنَّةِ
بِكِرَامَةِ أَصْحَابِهَا

(1) الطبيي، فتوح الغيب: 13 / 146.

(2) الألوسي، روح اللعاني: 12 / 85، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 16 / 257.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4 / 43.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12 / 84.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 114.

دلالة المضارع المبني للمفعول ﴿يُنْزِفُونَ﴾:

جاء الفعل ﴿يُنْزِفُونَ﴾ في قوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ مضارعاً مبنيّاً للمفعول، ويدلُّ على أنَّ النَّزْفَ يقعُ لا بإرادة صاحبه دون أن يشعر، ويدلُّ المضارع على التَّجَدُّدِ، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ خمر الدنيا تذهب العقل شيئاً فشيئاً مع تكرُّر شرب صاحبها⁽¹⁾، ويتجدد إذهاب العقل أيضاً مرّة بعد مرّة، يغيب، فيجهل صاحبه، ثمّ يستفيق، فيندم، ثمّ يشرب بعدها، فيذهب عقله مرّة أخرى، ويفعل أفعال المجانين، ففي تكرار ذلك نفور من الخمرة وشربها، والآية تنفي أيّ تأثير لخمر الجنة في العقل إطلاقاً.

بلغة الإيجاز في وصف الخمر:

جاء وصف خمر الجنة في قوله: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ وصفاً موجزاً بديعاً، فقد جمع في الجملتين جميع عيوب خمر الدنيا، وأشار بالغول إلى كلِّ مُفسِدٍ ومُهْلِكٍ، من مفسد أو صداع أو مرض، وأشار بالنزف إلى الإسكار وما ينجر عنه من العربة واللغو والتأثيم⁽²⁾.

بلغة الاستعارة في ﴿يُنْزِفُونَ﴾:

تضمن قوله: ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ﴾ استعارة تمثيلية؛ إذ شبه عقل الشارب بماء البئر في إفراغه شيئاً فشيئاً إلى نزحه تماماً⁽³⁾، فصار شارب الخمر يفقد عقله رويداً رويداً دون أن يدري، إلى أن يتحوّل إلى مجنونٍ يعربد، ويلغو، ويأثم، وإذا أفرغ الإنسان من عقله؛ سقطت كرامته، وزالت هيئته، وتوقع الناس منه كلَّ إثم.

خمر الدنيا تأثر
دون شعور
وتجدد خبال
وندم

توفي خمر الدنيا
والإقبال على
خمر الآخرة

قُبِحت خمر
تفقد العقل،
وتورث الإثم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 114.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8 / 268.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 114.

توجيه القراءات وبلادتها:

تعدد التكريم
بتعدد الإكرام

قَرَأَ حَمَزَةً وَالْكَسَائِيَّ وَخَلَفَ بِكَسْرِ الزَّايِ: ﴿يُنْزِفُونَ﴾: وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الزَّايِ: ﴿يُنْزِفُونَ﴾⁽¹⁾. وحجة من كسر أنه جعله من (أنزف ينزف): إذا سكر، والمعنى: (ولا هم عن الخمر يسكرون فتزول عقولهم)، أي: تبعد عقولهم، كما تفعل خمر الدنيا، وقيل: هو من (أنزف ينزف): إذا فرغ شرابه، فالمعنى: (ولا هم عن الخمر ينفد شرابهم كما ينفد شراب الدنيا)، فالمعنى الأول من نفاذ العقل، والثاني من نفاذ الشراب، والأحسن أن يحمل على نفاذ الشراب؛ لأن نفاذ العقل قد نفاه عن خمر الجنة في قوله: ﴿لَا فِيهَا عَوُّ﴾ أي: لا تغتال عقولهم فتذهبها، فلو حمل ﴿يُنْزِفُونَ﴾ على نفاذ العقل لكان المعنى مكرراً، وحمله على معنيين أولى. وحجة من فتح الزاي أنه جعله من (نزف): إذا سكر، وردّه إلى ما لم يسمّ فاعله، لغة مشهورة فيه، وإن كان لا يتعدّى في الأصل، ولم يستعمل (نزف): إذا سكر، إنما استعمل بالضمّ، على لفظ ما لم يسمّ فاعله، وهي أفعال معروفة، أتت على لفظ ما لم يسمّ فاعله، ولم تأت على لفظ ما سمي فاعله، فالمعنى: (ولا هم عن خمر الجنة يسكرون)، يقال: (نزف الرجل): إذا سكر، ويجوز أن يكون من (أنزف)، ردّه إلى ما لم يسمّ فاعله، ويضمّر المصدر ويقيمه مقام الفاعل، فتكون القراءتان بمعنى واحد على هذا الوجه⁽²⁾.

وجه العطف (ب) (الواو) في ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾:

تعقيب النعيم
بالنعيم عطايا
من الربّ الكريم

عُطِفَتْ جُمْلَةٌ: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَلَصَرْتُ الظَّرْفِ﴾ على ما سبقها، وهو عطف نعيم على نعيم؛ إذ بعد أن ذُكِرَ نعيمُ المشربِ والأنسِ بالصَّحْبِ؛ ذُكِرَ عَقِيْبُهُ نعيمُ الأنسِ بالزَّوْجِ⁽³⁾، وفي ذلك تنميطٌ لجوانبِ النِّعيمِ في جنّاتِ النِّعيمِ.

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 357.

(2) مكّي، الكشف: 2/ 224.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 333.

علة تقديم الخبر ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾:

قُدِّمَ شبه الجملة ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾ في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَلَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ المتعلق بالخبر على المبتدأ، وهو ﴿قَلَصِرَتْ﴾؛ وعلة ذلك هي التعجيل بإتمام نعيمهم، فهو نعيم لأجلهم، ودفع لتوهم خلوا نعيمهم من هذا الأنس وتلك المتعة، كما أفاد التقديم تخصيص ذلك النعيم بالمكرمين.

التعجيل بإتمام
نعيم أصحاب
الجنة

سرُّ إيتار لفظ (عند):

أثرت الآية لفظ (عند) في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَلَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾ دون (لديهم أو لهم)؛ لدلالة (عند) على حضور هذا النعيم عندهم، فليس شيئاً يحوزونه لديهم فقط، بل هو حاضر عندهم ومائل أمامهم⁽¹⁾.

نعيم حاضر
قريب

نكتة التعبير بلفظ ﴿قَلَصِرَتْ﴾ جمعاً:

جاء لفظ ﴿قَلَصِرَتْ﴾ جمعاً في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَلَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾؛ إشارة إلى الكثرة، ومع تعددهنَّ يزداد نعيم النظر إلى كل واحدة منهنَّ، والانشراح لقصر كل واحدة منهنَّ طرفها غنجاً وحياءً وحُباً، ففي الكثرة تعدد النعيم وتجده وتوُّعه، ونلاحظ أنَّ النظم في ذكر خمر الجنة احتسب عن خمر الدنيا بنفي الغول والنزف، وعندما ذكر نساء أهل الجنة لم يحتسب؛ لأنَّ أولئك النساء قاصرات الطرف مثل النساء الصالحات في الدنيا في ذلك، فلا حاجة للاحتراس.

في التعدد تنوع
للنعيم وتجدد

وجه تعريف ﴿قَلَصِرَتْ﴾ بالإضافة:

عرِّف لفظ ﴿قَلَصِرَتْ﴾ بالإضافة في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَلَصِرَتْ الظُّرُفُ﴾؛ ليدلَّ على أنه قصر متعلق بالطرف خاصة، وهو وصف كمال وزينة للمرأة، وذلك بحسب النظر إلى أيِّ كان ومتى كان، وقصره على صاحبه قصر حياءٍ وغنج⁽²⁾.

قصر الحياء
والغنج كمال
وزينة للمرأة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 114.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23 / 114.

دلالة صيغة ﴿قَصِرَتْ﴾:

وصف الكمال
مدح عظيم
ودليل حياء
وعفة

صيغ لفظ ﴿قَصِرَتْ﴾ في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِرَتْ الظُّرْفُ﴾ بصيغة فاعل، وهي صيغة متأرجحة بين الصفة المشبهة واسم الفاعل، فأما حملُه على الصفة المشبهة؛ فهنَّ (قاصرات أطرافهنَّ)، أي: إنَّ الظُّرْفَ قاصِرٌ عن الآخرين، وما لا يصحُّ، وهو وصف كمال ودليل حياء وعفة، وأما حملُه على اسم الفاعل؛ فهنَّ قد قَصَرْنَ أطرافهنَّ على أزواجهنَّ، وهو مدح عظيم⁽¹⁾، ودليل على حُبهنَّ أزواجهنَّ.

دلالة لفظ ﴿الظُّرْفُ﴾ مُعَرَّفًا:

نطف الظرف
مقصود على
الحبيب

جاء لفظ ﴿الظُّرْفُ﴾ في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِرَتْ الظُّرْفُ﴾ مُعَرَّفًا؛ ليدلَّ على أنَّه الظُّرْفُ المعروف، والمقصود به العين هنا، من: طَرَفَ بعينه؛ إذا حَرَكَ جفنيه، أي: إنَّهنَّ قاصرات الأعين⁽²⁾، وفي ذلك إشارة إلى ملاحظة الظُّرْفِ، وهو يَطْرُقُ بِلُطْفٍ، فيزيدهنَّ جمالاً بِمَنَعِهِنَّ طرفهنَّ إلا على أزواجهنَّ، وفي الآية كناية عن كمال العفاف والحياء، فلا يَمُدَّدْنَ أعْيُنَهُنَّ لغير أزواجهنَّ.

توجيه الوصف بـ(العين):

جمال العين
وحياء الظرف
يزيد القاصرات
حُسنًا

وُصِفَتِ (القاصرات الظُّرْفِ) في قوله: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِرَتْ الظُّرْفُ﴾ بـ(عين)، وهي جَمْعُ عَيْنَاءَ⁽³⁾، أي: حِسانُ العيون؛ اتِّسَاعًا ودَقَّةَ نَظَرٍ، وهو وصف لجمال العيون⁽⁴⁾ مُكْمَلٌ لوصف القاصرات؛ إذ وُصِفْنَ بالعفة والحياء أولًا، ثُمَّ وُصِفْنَ بِحُسْنِ العيون⁽⁵⁾، وقد اجتمع الوصفان في محل واحد هو العيون، وقد أفاد الوصف الاحتراس، وذلك بأنَّ حَبَسَ أطرافهنَّ ليس ناجمًا عن عيون صغيرة لا تُدْرِكُ، وبصرٍ ضعيفٍ

(1) السمين، الدر المصون: 9/ 306.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 114.

(3) السمين، الدر المصون: 9/ 306.

(4) الألوسي، روح المعاني: 12/ 86.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 14.

لا يُحِيط، بل هُنَّ عِينَاوَاتٌ يُبْصِرْنَ مَا حَوْلَهُنَّ، لَكِنَّهُنَّ يَمْنَعْنَ الْبَصَرَ، وَيَحْبِسْنَهُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ حِمَايَةً لِحَقُوقِهِنَّ وَشِدَّةِ أَخْلَاقِهِنَّ.

سُرُّ التَّشْبِيهِ بِ(كَأَنَّ):

شُبِّهَتْ ﴿قَصِرَتْ الظَّرْفُ﴾ في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَّضُ مَكْنُونٌ﴾ بالأداة (كَأَنَّ)، ويرجعُ سرُّ اختيارِها على غيرها من أدوات التشبيه إلى ما تحمله من المبالغة في التشبيه بالوصف مع التحقيق والتوكيد، والقصد إلى جعلِ قاصراتِ الطرفِ هُنَّ البَيَّضُ المَكْنُونُ نفسه⁽¹⁾.

وجهُ التعبيرِ بلفظِ ﴿بَيَّضُ﴾:

عَبَّرَتِ الآيةُ بلفظِ ﴿بَيَّضُ﴾ في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَّضُ مَكْنُونٌ﴾، والمقصودُ به بَيَّضُ النِّعَامِ خَاصَّةً؛ إذ "النِّعَامُ يَكُنْ بَيَّضُهُ فِي حُفْرِ فِي الرَّمْلِ، وَيَفْرُسُ لَهَا مِنْ دَقِيقِ رِيشِهِ، وَتُسَمَّى تِلْكَ الْحَفَرُ: الْأَدَاحِي، وَاحِدَتُهَا أَدْحِيَّةٌ، فَيَكُونُ الْبَيَّضُ شَدِيدَ لِمَعَانِ اللَّوْنِ، وَهُوَ أَبْيَضُ مَشُوبٌ بِيَاضِهِ بِصَفَرَةٍ"⁽²⁾، وبِهَا تُشَبَّهُ الْعَرَبُ النِّسَاءَ، وَتُسَمَّيْهِنَّ بَيَّضَاتِ الْخُدُورِ⁽³⁾، وَهُوَ وَصْفُ بَزَيِّنِ النَّضَارَةِ وَالصَّفَاءِ، وَهُوَ مِنْ أَجْمَلِ الْأَلْوَانِ الَّتِي تَكْتَحِلُ بِهَا عَيُونُ الرِّجَالِ عَنْ مَشَاهِدَةِ بَشَرَةِ النِّسَاءِ، وَلِتَقَعِ الْمُنَاسِبَةُ بَيْنَ لَفْظِ ﴿بَيَّضُ﴾ فِي وَصْفِ الْحُورِ، وَلَفْظِ ﴿بَيَّضَاءُ﴾ فِي وَصْفِ خَمْرِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْمُنَاسِبَةِ اللَّفْظِيَّةِ.

سُرُّ وَصْفِ الْبَيَّضِ بِـ ﴿مَكْنُونٌ﴾:

وُصِفَ الْبَيَّضُ بِـ ﴿مَكْنُونٌ﴾ في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَّضُ مَكْنُونٌ﴾، ومردُّ ذلك إلى أَنَّ النِّعَامَ تَبْيَضُ بَيَّضُهَا فِي الْفَلَاةِ، فَيَكُونُ مَصُونًا، لَا تَمْسُهُ أَيْدِي الْبَشَرِ غَالِبًا⁽⁴⁾، وَتَعُدُّ لَهُ الْأَدَاحِي تَفْرِشَهَا بِالرِّيشِ⁽⁵⁾،

المبالغة في التشبيه من تمام الإعجاب

يُزَانُ الْجَمَالُ بِالنَّضَارَةِ وَالصَّفَاءِ

الْمَصُونُ وَالْمَحْفُوظُ أَرْعَبُ إِلَى النَّفُوسِ

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 473.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 114.

(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 43.

(4) القنوني، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 248.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 114.

فيكونُ محصَّنًا، لا دَنَسَ يَلْحَقُهُ وَلَا غُبَارَ يَرْهَقُهُ⁽¹⁾، وكلُّ ذلك علامةُ الصَّونِ والحِفْظِ، ففي التَّشْبِيهِ كنايةٌ عن العَفَافِ والخُلُوصِ لأزواجِهِنَّ مع كمالِ السَّتْرِ، فلم يَلْمَسَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلَ أزواجِهِنَّ، وبهذه الكنايةِ الثَّانيةِ تبيَّنَ أَنَّهُنَّ لا يَمُدُّنَّ أَعْيُنَهُنَّ لغيرِ أزواجِهِنَّ ولا أَحَدٌ رَأَهُنَّ، أَوْ لَمَسَهُنَّ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 232 / 16.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والأربعون،
سورة يس من الآية 51 إلى سورة الضافات الآية 144
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الضافات الآية 144
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 48، 810 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-641-07-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 48: المجلد الثامن والأربعون، سورة يس من الآية 51 إلى سورة الضافات الآية 144.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-641-07-0

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1101030 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»